بسم الله الرحمن الرحيم

اللغةُ العربيةُ الفُصحى وسُبُلُ العنايةِ بها

إعداد / د. محمد بن محمود فجال
السنة التحضيرية بجامعة الملك سعود

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن التوجهات السلبية عند كثير من أبناء اللغة العربية تجاه لغتهم، مقابل الإعجاب باللغات الأجنبية، انبهارًا بحضارات أصحابها، وافتتانًا بكل ما يتصل بهم، وما تلا ذلك من تبعات، أدَّى إلى انخفاض مكانة اللغة العربية من الأولى عالميًّا في عصر الرعيل الأول إلى مراتب متدنية في عصور الاستعمار، ثم ارتفعت - ولله الحمد - إلى المرتبة السادسة، فمنذ تأسيس الأمم المتحدة عام (1942م) إلى (1972م) ثلاثون سنةً واللغة العربية غير معتمدة فيها، ثم اعتمدت لغةً رسميةً في (18 ديسمبر 1973م) في قرار الجمعية العامة رقم 3190 (د-28) [(1)].

وهذا الارتفاع يعود إلى الجهود العربية المبذولة في شأن الحفاظ على اللغة العربية ومكانتها وعالميتها.

وقد جاء هذا البحث (اللغة العربية الفصحى وسبل العناية بها) موضحًا للأجيال مكانة اللغات، وأثرها على الشعوب، وكيفية تسخير اللغة العربية للحصول على آثار مردودها الإيجابي على الشعوب الإسلامية.

وهو يجيب عن الأسئلة الآتية:

- ما مكانة اللغة عند شعوب العالم ؟
- كيف عُنيتْ الشعوب بلغاتها ؟
- ما أهمية اللغة العربية عالميًّا وواجبنا تجاهها؟
- ما أثر عنايتنا باللغة العربية محليًّا وعالميًّا ؟

وقد جعلته في قسمين:

القسم الأول : لغتنا الفصحى.. إلى أين؟

وفيه العناوين الآتية:

- أهمية اللغة عند شعوب العالم.
- عناية كل شعب بلغته.
- عناية العرب بلغتهم قديمًا.
- أهمية اللغة العربية للشعوب العربية والإسلامية وواجبنا اتجاهها.
- كيف ننهض باللغة العربية ونواجه تحدياتها؟
- دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية.

---

(1) وفي (1999م) أعلن عن تخصيص يوم 21 فبراير من كل عام يومًا دوليًّا للغة الأم. انظر وثيقة رقم 30 م/م ق 35 في 26/10/ 1999م. وبدأ الاحتفال باليوم الدولي للغة الأم بدءًا من عام 2000، ثم أعلن عن تخصيص يوم عالمي لكل لغة من اللغات الرسمية للاحتفال بها، فـ 20 مارس يوم اللغة الفرنسية، و20 نيسان يوم اللغة الصينية، و23 أبريل يوم اللغة الإنجليزية، و6 يونية يوم اللغة الروسية، و12 أكتوبر يوم اللغة الإسبانية، و18 ديسمبر يوم اللغة العربية. وكان اختيار يوم 21 فبراير بالذات إحياء لذكرى (شهداء اللغة) في بنجلادش كما يسمونه، بسبب وفاة متظاهرين ضد إثبات الأردية لغةً رسميةً بدل البنغالية.
انظر : http://en.wikipedia.org/wiki/Bengali_Language_Movement

- أهمية الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية.

القسم الثاني : أفضلية اللغة العربية

وفيه العناوين الآتية:

- النصوص في تفضيل اللغة العربية.
- النص في تحديد ماهية لغة أهل الجنة.
- اصطفاء الله - جل جلاله - للغة العربية تفضيل وتقديس باختيار إلهي، وليس بتعصب مِنَّا أو عنصرية.
- تقديس اللغة العربية لكونها لغة القرآن الكريم.
- كلام العلماء في فضل اللغة العربية.
- الخاتمة.

أهمية اللغة عند شعوب العالم:

اللغات مرآةُ الشعوب، فهي التي تعكس درجة حضارتهم، وتطورهم ونموهم، وهي تدل على هويتهم وذاتهم، وبها عِزهم ومَجْدهم.

والأُمَّةُ يتحدد كَيانُها، وتصبح أُمَّةً مستقلةً عن غيرها بلغتها وتاريخها وتراثها.

ولذلك فقد عُنِيَ كُلُّ قومٍ بلغتهم الأم عناية كبيرة، فتكون هي اللغةَ الرسميةَ للدولة، وهي لغة التعليم، ولغة الإلكترونيات.

وإذا استعرضنا النظريات القومية التي تحدد مفهوم (الأمة) بالعناصر المُكَوِّنَة لها نجدها تكاد تجمع على إعطاءِ اللغةِ مكانَتَها الكُبْرى بين تلك العناصر.

فمثلًا:

(1) النظرية الألمانية: يعدُّ «فختة Ficthe» اللغة هي المقوم الأساسي للشعب الألماني ووحدته، ويرى أن كل الذين يتكلمون اللغة الألمانية هم أمة واحدة، ربطتهم الطبيعة بروابط متينة، ويترتب على ذلك طرح كل ما يفرق بين الألمان. ويرى أنَّ اللغة جهاز الاجتماع في الإنسان، وأنَّ اللغة والأمة أمران متلازمان متعادلان. ويؤكد «ماكس نوردو Max Nordau» على أن الفرد يندمج في المجتمع باللغة فيصبح عضوًا فيه، وبها يتلقى تراث الأمة الفكري والشعوري والأخلاقي والاجتماعي القديم والمعاصر، وحرمان شعب من الشعوب من لغته يجعله يشعر بالذل والمهانة.

(2) النظرية الإيطالية: عرَّف «مانسني Mancini» الأمة بأنها مجتمع طبيعي من البشر يرتبط بعضها ببعض بوحدة الأرض والأمل والعادات واللغة من جراء الاشتراك في الحياة وفي الشعور الاجتماعي.

(3) النظرية الفرنسية: جاء في تقرير رسمي سنة (194م) « إن أهمَّ ما يجبُ أن يسعى إليه الفرنسيون في الجزائر هو جعلُ اللغةِ الفرنسيةِ دارجةً وعامَّةً بين الجزائريين وإدماجهم في الفرنسيين بل جعلهم فرنسيين من حيث اللغة ». وفي تقرير عن موريتانيا سنة (1965م) «إن 75 % من سكان موريتانيا يتكلمون باللغة العربية، ولكن فرنسا حاولت بكل الضغوط الممكنة محوها على اعتبار أنها لغةٌ غيرُ متطورة ولا تصلح للعلوم الحديثة، فقامت موجةٌ لمحاربتها بدعوة المستشرقين لإلقاء المحاضرات طعنًا فيها». وورد في كتابات المفكرين الفرنسيين إشارات إلى أهمية اللغة في بناء الشخصية، من ذلك ما كتبته «مدام دي ستال Madame de Stael » سنة (1815م) :«إن اختلاف اللغات والحدود الطبيعية وذكريات التاريخ المشترك كل ذلك يتضافر بين الناس على تكوين هذه الأشخاص الكبيرة التي تعرف باسم الأمم».

(4) النظرية الماركسية: نَشَرَ الاتحاد السوفياتي سنة (1929م) كتابًا أَلَّفَهُ «سطالين» عنوانه «اللينينية والمسألة القومية» الفصل الأول منه بعنوان مفهوم الأمة، وقد حدد «سطالين» مفهوم الأمة بأنها جماعة مستقرة من الناس تكوَّنت تاريخيًّا ونشأت على أساس اشتراك العلائم والمقومات الأربع الأساسية التالية: اللغة، والأرض، والحياة الاقتصادية، والتكوين النفساني الذي يتجلى في الخصائص التي تسمى الثقافة القومية.

(5) الموقف الإنجليزي: لم يُسَمَّ نظرية لأنه ليس فكرًا نظريًّا، بل هو فكر تجريبي، ارتكزت سياسته التعليمية في مستعمراته على التجهيل باللغة القومية، ونشر لغته، فحاربوا الثقافة الفرنسية واللغة العربية في المدارس وعملوا على إحلال الإنجليزية محلها [1].

(1) انظر «دور اللغة في تماسك شخصية الأمة» (29 - 33).

إذن فاللغة هي الأمة، والأمة هي اللغة، فلا حياة، ولا استقلال، ولا تميُّز إلا باللغة القومية الأم.

عناية كل شعب بلغته:

لقد عُني كل شعب بلغته، وتعصَّب لها، ولو اطلعنا على عناية الأقوام بلغاتهم لرأينا الكثير من الجهود المبذولة في سبيل الحفاظ عليها ونشرها.

مثلًا الرئيس الفرنسي « جاك شيراك» انسحب من مؤتمر قمة الاتحاد الأوروبي في بروكسل عندما قدَّم الفرنسي «أغيرنست سيلييرغ» رئيس البنك المركزي الأوروبي تقريرًا اقتصاديًّا للمؤتمر، وتحدَّث بالإنجليزية، فقد قاطعه شيراك بعد أول جملة، وقال له: «لماذا بحق السماء تتكلم الإنجليزية؟»، فأجاب: «لأنها أصبحت لغة الاقتصاد العالمي». لكن شيراك لم يقتنع، وخرج مع بقية الوفد الفرنسي من القاعة، ولم يعودوا إلا بعد أن غيَّر سيلييرغ لغة الحديث إلى الفرنسية [1].

والصهاينة أدركوا أنهم لن يتميَّزوا ولن يستقلوا ولن تقوم لهم دولة إلا إذا حافظوا على خصوصياتهم، وكانت لهم لغةٌ خاصةٌ بهم، فلذلك تزعم «أليعزر بن يهوذا» [2] الملقب بأبي العبرية الحديثة، في العصر الحديث بعث هذه اللغة، وناضل في سبيل اعتمادها لغة محكية، ثم تبنت دولة إسرائيل هذه المحاولة فيما بعد.

وقد تجاوزت اللغة العبرية النطاق الذي عاشت فيه قرونًا كلغة تقليدية، لتلعب دور اللغة القومية، فلم تعد لغة دين وشعائر وطقوس فحسب، بل أصبحت أداة لإيجاد الوحدة داخل المجتمع الإسرائيلي، وأداة لتعميق الانتماء والولاء للأرض.

وقد أُدخلت اللغة العبرية في التدريس تدريجيًّا، حيث كان هناك صراع بين أنصار العبرية وبين أنصار التدريس باللغات الأجنبية، وحجة هؤلاء عدم توافر الكتب والمؤلفات باللغة العبرية، لكن مؤتمر المعلمين اليهود قرر استعمال اللغة العبرية في كل الموضوعات، على أساس أن الحاجة هي التي تخلق الكتب والكلمات المطلوبة، وبدأ التدريس باللغة العبرية للصفوف الابتدائية الأربعة الأولى، وسمح بتدريس بعض الموضوعات باللغات الأوروبية إلى أن أصبح هناك جيل من المعلمين قادرًا على تدريس المواد كافة باللغة العبرية، ثم جاء عدد من الأساتذة اليهود الذين يُدَرِّسُون في الجامعات من أوروبا وأمريكا وترجموا الكتب الأجنبية إلى العبرية، وهكذا بعد قيام دولة إسرائيل أصبحت اللغة العبرية هي اللغة الرسمية حتى إن الآباء الذين هاجروا إلى فلسطين تعلموا اللغة العبرية عن طريق أبنائهم.

وقد حدد النهج الإسرائيلي أهداف تعليم اللغة العبرية بما يلي:

1- اكتساب التلميذ مُثُل الأمة العليا وآرائها ومشاعرها في أثناء مراحل تطور الأمة اليهودية في أزمنة متعددة، وتقوية الرباط التاريخي الذي لم ينفصل بين الشعب وبلاده وثقافته، ويجب الكشف بشكل خاص عن إنجازات هذا الجيل والأجيال القريبة منه لأجل النهضة القومية والتطور الحضاري والثقافي والاجتماعي.

2- إعداد الطالب لاتصالٍ حيٍّ مع القضايا والتيارات الفكرية المعاصرة ومع حوافز الشعب اليهودي ومذاهبه ومسالكه في مسيرته التاريخية [3].

لقد تفوَّق الصهاينة ونافسوا أمريكا وأوروبا في الصناعات العسكرية والمدنية جميعها، وحتى في العلم، فقد احتلت أربع جامعات ومعهدان في إسرائيل مراتب ضمن أفضل (500) جامعة في العالم، بحسب آخر تصنيف لموقع (ويبو ماتركس) [4]، مقابل جامعتين عربيتين فقط هما (الملك سعود والقاهرة).

---

(1) انظر مقال: «حرب اللغات» لمحمد علي صالح.
(2) توفي عام (1922م). انظر موسوعة ويكيبيديا.
(3) انظر مقال: «العنصرية الصهيونية وفلسفة التربية اليهودية» عبد القادر فارس.
(4) تصنيف يناير عام (2014م) الوارد في موقع: http://www.webometrics.info/

وقد حقق الصهاينة هذا النجاح بعدما أُعجبوا بالحضارة الألمانية المبنية على الفلسفة الألمانية التائهة باللغة القومية الألمانية، فأدرك الصهاينة قيمة اللغة القومية والثقافة الخاصة، وعرفوا أن قواعد مجدهم تُبنى من لغة قومية خاصة بهم[1].

أما الاستعمار الأجنبي للدول العربية كان أولُ ما يبدأُ به انتزاعَ اللغةِ القوميةِ من المجتمع، وإحلالَ لغته مكانها، والسعيَ إلى نشرها وإقناع الناس بها، بالقوة أو بالرضا؛ لاستلاب الهوية، وإضعاف الشخصية، والذوبان في الثقافة الأجنبية الغازية، وفقدان الخصوصية الثقافية والحضارية، ثم الانقياد للمستعمر كيف شاء.

وكوريا الجنوبية أدركت مكانةَ اللغة الأم، وعلاقتَها بالهوية، وخاصة بعد الاحتلال الياباني، الذي عمد إلى طمس الهوية الكورية بفرض اللغة اليابانية؛ لتدرَّس في المدارس الكورية، عام (1931م)؛ لذلك اعتنى الكوريون فور استقلالهم، بعد الحرب العالمية الثانية عام (1945م)، بلغتهم عناية كبيرة، مدركين أن استلاب اللغة يعادل ضياع الهوية. كما أدركوا أن الحفاظ على اللغة، ليس مجردَ شعار، فبادروا إلى الحفاظ على لغتهم وذلك بالعناية برموز العلم وهي: المدرسة، والمعلم، والكتاب، والمكتبة، والطالب.

فقدّروا المعلم معنويًّا وماديًّا، حتى إن راتب المعلم في مرحلة التدريس للطفولة المبكرة، لا يقل عن ألفين وثلاث مئة دولار شهريًّا.

واستدعى هذا الاهتمام، أن يشترط فيمن يتخصص في تعليم اللغة للأطفال اجتياز امتحان قدرات لغوية، شعرًا ونثرًا شفهيًّا وتحريريًّا. وكذلك عُنوا بالكتاب بشكله ومضمونه، وبالمكتبات العامة، وعُنوا بالطفل، فلم يسمحوا له بتعلم لغة أجنبية إلا بعد امتلاكه أساس لغته الأم [2].

واليابان أبرمت اتفاقًا مع دور النشر العالمية في الغرب لترجمة كلِّ كتابٍ علميٍّ يصدر إلى اللغة اليابانية في نفس توقيت صدوره بلغته الأم لِيُوَزَّعَ في موازاة صدوره باللغة الإنجليزية، مما جعل اليابانيين في مواكبة دائمة لمجريات العلم في الغرب الحديث.

واحتلت إحدى عشرة جامعة يابانية مراتب في قائمة أفضل (500) جامعة على مستوى العالم.

فها هي كل دولة من دول العالم تحافظ على لغتها، وتتمسك بها، في التعليم، والصناعة، فاليابان تعتمد لغتَها لغةً للتعليم في المدارس والجامعات جميعها، وكوريا كذلك والصين وروسيا وألمانيا وبريطانيا وفرنسا وأمريكا وكندا وإندونيسيا وماليزيا ورومانيا.

فهل تنعُم منطقتنا العربية بمثل ذلك؟

قال الشاعر[3]:

فلا خيرَ في قومٍ تموتُ لغاتُهم ولا روحَ في قومٍ بدون لُغاتِ

عناية العرب بلغتهم قديمًا:

عُني العرب قديمًا باللغة العربية وقواعدها، حتى تخصص كثيرون فيها، فعدُّوها غايةً.

وقد بلغت العربيةُ أَوْجَ رِفْعَتِها في عصر ازدهار الحضارة العربية والإسلامية، فداخلت النسيج الاجتماعي، وارتبطت بإرادة التغيير، وإعلاء دور العقل، وحرية الإرادة، والقدرة على الإبداع، والانفتاح على الحضارات [4].

وترجم علماء العرب في العصر العباسي الكتب الكثيرة من الثقافة السريانية.

ووضعوا فيها المصنفات الجليلة، والمؤلفات الضخمة.

إلا أنَّ الزمان دار دورتَه، وسقطت الحضارة العربية الإسلامية في القرن الرابع عشر، وتَقَلَّصَ ظِلُّ اللغة العربية، وتواصل السقوط إلى أواسط القرن التاسع عشر [1].

---

(1) «سنة الله» عبد السلام ياسين (106).

(2) انظر مقال: «الحفاظ على اللغة حفاظ على الهوية : كوريا والصين نموذجًا» د. فيحاء عبد الهادي.

(3) لم أعثر على قائل له.

(4) «اللغة العربية هويتنا القومية» (18- 19).

وبدأت معاول الهدم تُسْقطُ ما بناه السابقون، فالاستعمار والمستشرقون والمستغربون والشُّعوبيون والجُهَّال، كلٌّ أولئك تصدَّوا للغة العربية، وحاولوا جاهدين طَمْسَها، أو الحَطَّ منها.

فقد شهد العصر الحديث من يدعو إلى التخلص من الحروف العربية، لِتُكْتَبَ اللغةُ الإسلاميةُ بحرف لاتيني.

وظهر من يَتَّهِمُ اللغة العربية بالعُقْمِ والجُمُودِ والتَّحَجُّرِ والقُصُور، وأنها لم تَعُدْ ملائمةً لأساليب القرن الحادي والعشرين، عَصْرِ الثورة المعلوماتية، والاختراقات الفضائية.

ودعا نفرٌ إلى تعميم تدريس العلوم الطبية والهندسية بلغة إنجليزية، بحجة تطور الغربيين في هذه العلوم على وجه الخصوص.

ونستمع بين الوقت والآخر إلى دعواتٍ لإحلال اللهجات العامية محلَّ اللغة العربية الفصحى، وتقعيد قواعدها، وجعلها لغةً للعلم والثقافة.

بل ظهر مؤخرًا من يدَّعي بأن اللغةَ العربيةَ لغةَ القرآنِ الكريم ليست من أفضل اللغات، والمسلمون الذين يقولون بذلك هم (أيديولوجيون)، وأصحابُ نزعة عِرْقية.

وأصبح العِداء للعربية بكل صوره وأشكاله جَهارًا نَهارًا.

ويالَلأسف فإنَّ هناك من انقاد خلف هذه الدعوات، وأصبح يردد ما يقوله المستعمرون، والغزاة، والانهزاميون، ويتأثر بأقوالهم ودعواتهم، بل يفتخر ويعتزُّ بتقليدهم.

وأضحت اللغة العربية الفصحى مادةً للتندر والسخرية، والاستهزاء برجال العلم والثقافة.

أهمية اللغة العربية للشعوب العربية والإسلامية [2]، وواجبنا اتجاهها:

اللغةُ العربيةُ الفصحى تُمَيِّزُ شخصيةَ الأمةِ العربية والإسلامية، فهي التي حَمَلَت الثقافةَ العربيةَ والتراثَ والحضارةَ، ونَقَلَتْها لنا عَبْرَ القُرونِ، ووصلتْ الأجيالَ العربيةَ المتقدمةَ بالمتأخرة، فتوحَّدَ العربُ قديمًا وحديثًا، وكانوا أُمَّةً واحدةً، يتحدثون بلغة واحدة، فتكوَّنَ لهم فِكْرٌ واحدٌ، وعواطفُ واحدة، ذلك كله على الرُّغم من تنائي الديار، واختلاف الأمصار.

وبالمقارنة مع كثير من بلدان العالم فإننا نجد شعوبًا تجمعهم القوميةُ الواحدة أو الجنسيةُ الواحدة ولكن تفرقهم لغاتٌ مختلفة، فمثلًا الهند أو نيجيريا يتكلمُ السكانُ فيهما بلغات عديدة مختلفة مما يجعل التواصلَ بينهم مستحيلًا، إلا إذا استُخْدِمَتْ لغةٌ مشتركةٌ مثلُ اللغةَ الإنجليزية [3].

إنَّ علماءَ العربِ في العصر العباسي عندما ترجموا الكتب السريانية إلى اللغة العربية تدهورت اللغة السريانية، وأصبحت اللغةُ العربيةُ في ذلك العصر هي اللغةَ العلميةَ والأدبيةَ للفرس، فألفوا وكتبوا بها، وحياةُ اللغةِ الفارسيةِ كانت عند التكلمِ العادي، أو في أوساط الديانة المجوسية فقط. وكذلك الشأن في اللغات الأخرى من رومانية وقبطية في الشام ومصر [4].

فعنايتهم باللغة العربية، التي تمثلت في ترجمة الكتب من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية أذابت شخصية أولئك الأقوام في بوتقة العرب، وجعلتهم يتأثرون بثقافتهم وحضارتهم.

* * *

وقد أدركت منظمة الصحة العالمية أنَّ اللغةَ أداةُ فِكْرٍ، وأفضلُ لغةٍ يُفَكِّرُ بها الإنسان هي لغتُه الأم، فأوصت بأن يُدَرَّسَ الطِّبُّ وعلومُه باللغة الأم لكل شعب.

---

(1) «اللغة العربية هويتنا القومية» (19).

(2) الأقليات الإسلامية في بلد ما لا يسمون شعوبًا إسلامية، إنما مسلمين فقط. «اللغة العربية والشعوب الإسلامية» (69).

(3) «اللغة والحياة والطبيعة البشرية» (30).

(4) «ضحى الإسلام» (1 : 226).

ومنظمة اليونسكو كذلك، فقد أوصت بأن يَسْتَخْدِمَ كلُّ شعب لغتَه الوطنية في التعليم، منبهةً إلى أنَّ العلاقة بين لغة التعليم واللغة الأم هي علاقة رئيسة تَتَحَدَدُ في علاقة الفهم والاستيعاب [1].

وفي جامعات سورية يُمارس تدريس الطب باللغة العربية، وفي جامعة القاهرة دُرِّس الطب بالعربية نحو ستين عامًا، من (1827م) حتى (1887م). ولم يتوقف إلا انصياعًا للضغط الاستعماري آنذاك.

والجامعة الأمريكية في بيروت درَّست الطب باللغة العربية من عام (1866م) حتى (1884م).

فلقد أثبتت اللغة العربية جدارتها، وصلاحيتها، ومرونتها، وصمودها، فدُرِّست بها العلوم المتعددة، ودخلت الإلكترونيات، والحواسيب، وحققت نجاحًا باهرًا، وتُرجمت إليها الكتب العلمية قديمًا وحديثًا، ولا تألُ المجامع اللغوية جهدًا من صَوْغِ الآلاف المؤَلَّفَةِ من المصطلحات وأسماء المخترعات، وألفاظ الحضارة.

* * *

إنَّ عُدولَنا عن هذا النَّهْج، وانحرفَنا عن جادة الصواب، وتدريسَنا العلومَ المختلفة لأبنائنا بلغات أجنبية يُقَلِّلُ اتصالَ طلابِنا بلغتهم الأم (اللغة العربية الفصحى)، ويجعلهم يعتقدون أنَّ اللغةَ الإنجليزية هي لغة العلم والمعرفة والثقافة، وأنَّ اللغةَ العربيةَ هي لغةُ حياةٍ اجتماعيةٍ فقط.

وفي المقابل سوف نجد كثيرًا من الطلاب يعزفون عن الدراسة، ويتسربون منها إلى حياة الجهل والضياع والتخلف، ويصبحون عالة على الأمة الإسلامية.

وإنَّ التمادي بذلك سوف يُفْقِدُ العربيَّ هَوِيَّتَه، ويُمِيتُ الضميرَ اللغويَّ العربيَّ لديه، فينبهرُ بالغرب، وبثقافتهم، وينقاد لهم، ويقلدهم، ويعيشُ حياتَهم، ويَضْعُفُ فَهْمُهُ للقرآن الكريم، ولتراثه العلمي والإسلامي.

أما الذين يَنْفُونَ قدرة اللغة العربية على حَمْلِ مضامين الثقافة والفكر فأقول لهم :

هل اللغة التي اختارها الله - سبحانه وتعالى - لتحملَ كلامَهُ عاجزةٌ عن حمل العلوم الحديثة والمعارف !

وهل لغةُ الإبداع العربي قبلَ الإسلام، ولغةُ الإعجاز الإلهي بعدَه، التي حملت رسالةً للعالم أجمع تقصرُ عن فَهْمِ آلةٍ صنعتها يَدٌ بشرية، أو علمٍ وضعَهُ فردٌ في هذا الكون !

قال «حافظ إبراهيم»[2] :

وَسِعْتُ كتابَ الله لفظًا وغايةً ... وما ضِقْتُ عن آيٍ به وعِظاتِ

فكيف أضيقُ اليومَ عن وصف آلةٍ ... وتنسيقِ أسماءٍ لمختَرعاتِ

لولا اللغة العربية الفصحى لصارت الأقطارُ العربيةَ المتعددة أوطانًا إقليميةً مختلفةً لأقوام مختلفي اللغات، شأنهم ذلك شأنُ شعوبِ أوروبا اللاتينية، مثل شعوبِ فرنسا وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال ورومانيا.

فاللغة الإنجليزية - مثلًا - ليست هي الخالقة للثقافة، بل العقلُ البشريُّ الواعي والفهمُ للعلم هما اللذان يخلقان الثقافةَ والعلمَ والإبداعَ، فالعقلُ عندما يفكِّرُ ويبحثُ يتوصَّلُ للابتكار والاختراع، وهذا لا يتحقق عند الفرد الذي يَدْرُسُ العلوم بلغة أجنبية عنه ؛ لأنَّ فهمَه مهما ارتقى بها فإنه سيبقى محدودًا وقاصرًا.

لا شكَّ أنَّ تعلمَ اللغات الأجنبية أصبح ضرورةً في حياة الشعوب، ولكن يجب أن يكون بالقدر الذي لا تذوبُ فيه هويتُنا في هويات الآخرين، فتعلُّم أطفالِنا للُّغاتِ الأجنبية العالمية لا يجب أن يكون على حساب اللغة العربية الفصحى، بل يجب أن يكون هناك توازن مدروس يتيح للطفل أن يتعلم اللغة الأجنبية كلغة معارف حديثة، وفي الوقت نفسِه يتمكن

(1) انظر «قضية التعريب وتساؤل إلى وزارة التعليم العالي»، و«سورية: نجحنا في تدريس الطب بالعربية».
(2) «ديوان حافظ إبراهيم» (253).

من التفاعل مع مجتمعه ومحيطه باستعمال لغته العربية الأصيلة التي تستطيع أن تستوعب الحداثة وتقطع في سبيل ذلك خطواتٍ طويلةً.

ولا خلاص من ذلك المرض الخطير، الذي ابتليت به الشعوب العربية والإسلامية، إلا بتلقين العلوم لأبنائنا منذُ نعومةِ أظافرهم باللغة العربية الفصحى، وتشجيعِهم عليها بممارستها أمامَهم في جُلِّ الأوقات، خصوصًا في دور التعليم، وفي المؤسسات العامة.

بذلك ترتفع مكانتُها في نفوسهم، ويعتزون بها، وبكل عِلْمٍ يتصل بها، فيتمثلون المعلومات، ويستوعبون المادة العلمية ويفهمونها، ويستبقونها، ثم يتمكنون من استدعائها وقتَ الحاجة، والعملِ بمقتضاها، ويمتلكون القدرة على الإبتكار والإبداع في المستقبل.

لذلك فإنه يجب علَينا العناية باللغة العربية الفصحى تَعَلُّمًا وتعليمًا، والعنايةُ بكل الوسائل المؤدية للحفاظ عليها، والمؤدية لتنمية مكانتها في نفوس الشعوب الإسلامية، بوجه عام، والشعوب العربية بوجه خاص.

فعلينا أن نستفيد من تاريخنا القديم، ومن التجارب الحديثة، ونخطو خُطواتٍ حثيثةً في سبيلِ النهضةِ بلغتنا العربية.

كيف ننهض باللغة العربية ونواجه تحدياتها ؟

المتأمل لواقع اللغة العربية يجد الآتي :

1- كثير من المثقفين وغيرهم لا يتقنون الحديث باللغة العربية الفصحى، بل يتقنون لغةَ محيطهم فقط، من العامية الدارجة.
2- المعلمون والطلاب لا يحرصون على استعمال اللغة العربية الفصحى في المؤسسات التعليمية.
3- الناشئة من الطلاب لا يستطيعون قراءة صفحةٍ ما قراءةً صحيحةً، فالأخطاء النحوية والصوتية تكثر في قراءتهم.
4- ينظر المجتمع إلى أن استعمال اللغة العربية الفصحى تخلّف ورجعية ؛ لأن لها حدودًا وقدراتٍ معينة، ولا تستطيع تلبية احتياجات المجتمع والعلم والثقافة، هذا بحسب رؤيتهم.
5- يحاول كثير من المثقفين معلمين وصحفيين وجامعيين استعمال كلمات أجنبية في أحاديثهم، وهذا ينطوي على بُعْدٍ نفسي خطير، ألا وهو فقد العربي لهَوِيَّته، وموت الضمير اللغوي العربي لديه، فينبهر بالغرب، وبثقافتهم، وينقاد لهم، ويقلدهم، ويعيشُ حياتَهم، ويَضْعُفُ فَهْمُهُ للقرآن الكريم، ولتراثِه العلمي والإسلامي.
6- ضعف الوعي عند الفرد العربي ؛ لأنه لا يحب القراءة، فلا يقرأ، وعلى ذلك فإن فهمه يقتصر على حدود ما يعرف فقط.

ولمواجهة هذا الواقع والحدِّ من تأثيراته السلبية على الهوية واللغة العربية أقترح اتباع الاستراتيجيات الآتية:

1- تعميم استعمال اللغة العربية الفصحى الحديثة في المؤسسات التعليمية كافة (الروضات، والمدارس، والمعاهد، والجامعات)؛ إذ هي لغة المناهج الدراسية، فيدرب التلاميذ على مهاراتها الأربع الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة)، ويلتزم بها المعلمون.
2- أن يكون كل أستاذ هو معلم للغة العربية بصورة مؤثرة غير مباشرة.
3- التزام معلمي المواد الأخرى بالعربية الفصحى في دروسهم ؛ ليكونوا قدوة صالحة لتلاميذهم. ويحبب إليهم التحاور بها كلما اجتمع لفيف منهم، وتُهَيَّأُ الظروف والأجواء المتنوعة لذلك، فتُفَعَّل في المدارس إذاعة الصباح، وإذاعة وقت الاستراحة، والمنتديات، والأنشطة اللامنهجية، وتُسخر الجهود لينشط الطلابُ والأساتذةُ للحديث بالفصحى، ويُعَزَّزُ هذا الجهدُ بطرائق متنوعة؛ للإسهام في تكوين هذه المهارة بصورة

فعّالة، حتى تترسخ فيهم ملكتها، وتملك ألسنتهم دربتها، ويكون أخذهم بالتدريب تدريجًا، إلى أنْ تُهْجَر العامية وتحلّ الفصحى محلّها في المؤسسات التعليمية.

4- ترسيخ محبة اللغة العربية في نفوس أبنائها، من خلال عقد احتفاليات خاصة بها، واستغلال الأيام الدولية المخصصة لذلك، وعقد سوق عكاظ، بفعاليات متعددة كالخطابة وإنشاد الشعر والحوار، وتأكيد أهمية التزام استعمال الفصحى فيه، وفعاليات أخرى لإنجاح هذه الاستراتيجية.

5- إعداد مشاريع علمية وموسوعات تناسب روح العصر وثقافته لتعليم الأجيال اللغة العربية بطريقة مُيَسَّرة.

6- استغلال القنوات الفضائية لتعليم اللغة العربية من خلالها، ولترسيخ تراكيبها وألفاظها وما تنتجه المجامع اللغوية من خلال استعمال الإعلاميين لها.

7- استغلال الإعلام الإلكتروني الجديد كالمواقع الاجتماعية والمنتديات وغيرها لطرح المسابقات والبرامج التعليمية التي تهدف لتعليم اللغة العربية بقواعدها وألفاظها وتراكيبها.

8- تسخير الإعلام الفضائي بقنواته المحلية والعالمية.

9- إقامة مراسم للاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية في مؤسسات التعليم كافة.

فإذا أتقن المجتمع بأطفاله ورجاله ونسائه اللغة العربية ورسخت محبتها في نفوسهم، عادت اللغة العربية الفصحى إلى مكانتها الصحيحة في العالم.

وسوف أُفَصِّل الحديث عن آخر أمرين لأهميتهما.

دور الإعلام الفضائي في نشر اللغة العربية:

الإعلام بأشكاله جميعها (المقروء والمسموع) له أثر كبير في تشكيل لغة الفرد، وأخص الإعلام الفضائي بالحديث لأنه أهم الوسائل لنقل الأفكار والتوجهات والثقافات واللغة، بما يملكه من عناصر الجذب من الصور والرموز والألوان.

والقنوات الفضائية أنواعها كثيرة جدًّا، منها: الجامعة العامة، والدينية، والترفيهية، والتثقيفية، والإخبارية، والاجتماعية، والرياضية، وقنوات الأطفال، وقنوات الخِدمات التي تقدم إعلانات عقارية، وقنوات اقتصادية، وقنوات الأدب والشعر، وقنوات العلاج، والطبخ، وتكنلوجيا المعلومات، إلخ.

وفي إحصائية قديمة للقنوات الفضائية العربية الحكومية والخاصة (أي: التي تُمَوَّل من شركات أو مؤسسات غير حكومية) عام (2006م)، بلغَ عددُ القنواتِ حوالي خمس مئة قناة[1]، وكل قناة من هذه القنوات تسعى لتحقيق أهدافها بحسب موضوعاتها التي أسست من أجلها، وليس لها أيةُ أهداف لغوية مباشرة أو غير مباشرة، فالإعلامي يهمه أن يؤدي رسالته الإعلامية بشكل ناجح، وعناصر نجاح الأداء يكون بمميزات كثيرة منها جمال الصوت، وجمال العبارة المتمثل بحيويتها الثقافية والآنية، وقدرتها على التأثير في المشاهدين، فإذا اعتنى بهذه المعطيات يَعُدُّ نفسَهُ قد أدَّى رسالته وحقَّق أهدافه.

وهذا يدعو لاستعمال الهجين اللغوي، وهو الخطاب العربي الأجنبية، منطوقًا ومكتوبًا، فينعكس سلبًا في الحصيلة اللغوية للناشئة، فترسخ في عقولهم وفي مقارباتهم اللغوية تفكيرًا وتعبيرًا وتدوينًا.

ومهما حاول تجويدَ لغته وتحسينها فقد لا تكونُ عنده أهدافٌ لرسالةٍ لغوية أو قومية، فيكتفي لإيصال رسالته بما يُمثِّل الذوق العام الرائج الاستهلاكي، ويكون مرجعه القوى التسويقية، لا المجامع اللغوية ولا الذائقة الشعبية السليمة.

(1) «انفجار الفضائيات العربية» (137).

والتلفاز له أثر كبير في تشكيل الصورة اللغوية لدى الناشئة، فالأطفال يجلسون أمام شاشات التلفاز أكثر من جلوسهم أمام معلميهم في المدارس.

فلو فرضنا أنَّ الطالبَ يجلسُ في اليوم خمسَ ساعات في المدرسة، فإنه يجلس في الشهر مئة ساعة أمام المعلم. وفي المنزل يجلس أكثر من سبع ساعات أمام شاشات التلفاز فيكون بالشهر قد جلس أكثر من مئتي ساعة يشاهد فيها برامج القنوات الفضائية.

وتراه مشدودًا مع التلفاز أكثر من انتباهه مع المعلم، فهذا له دور كبير في تشكيل عقليته وأفكاره وثقافته... إلخ.

وبتتبع القنوات الفضائية فإما الإعلامي يُقَدِّم نشرة أخبار أو هو في حوار مع ضيف أو في حديث مباشر مع المشاهدين، ففي حديثه بنشرة الأخبار يحاول التحدث بلغة أقرب للرسمية، وفي باقي المواقف يستعمل اللغة المحلية.

أما القنوات الفضائية الدينية، التي تدعو للإسلام باللغة الإنجليزية، مثل قناة الهُدى، وبعض القنوات الباكستانية والماليزية، التي تعرض الفكر الإسلامي، وتُعَرِّف بالإسلام، فتفيد الأجانب من المسلمين وغيرهم، فهؤلاء يدعون إلى تعلّم اللغة العربية بطريقة غير مباشرة؛ لأن اللغة العربية هي أداة الاطلاع على الدين الإسلامي ولا يمكن للمرء اعتناق الإسلام والصلاة إلا بتعلّم اللغة العربية.

والقنوات الأخرى العربية، مثل: اقرأ، والحقيقة والناس، لها دور كبير في نشر الثقافة الإسلامية بثوب اللغة العربية، وكذلك قنوات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فنقل الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وتكرارها على مسامع المشاهدين تجعلها تعلق في أذهانهم ثم تنطلق على ألسنتهم. وهذا بدوره مفيد تعليم القوالب اللغوية القرآنية والحديثية.

أما الفضائيات الناطقة بالعربية التي هي فرع عن الفضائيات الأجنبية كالعبرية والفرنسية والبريطانية ال (cnn) و(bbc) وغيرها، فما هي إلا أدوات لنشر الرسائل والأفكار والثقافات المراد نقلها للعرب من توجهات سياسية وعسكرية وغزو ديني وثقافي، فكيف يأمن المرء جانبها وأمانتها وصدقها فيما تبثه من معلومات عن العقيدة أو التاريخ أو الشخصيات الإسلامية أو الحقائق أو المستقبل؟!

أما قناة الجزيرة التي تُعلّم اللغة العربية فهذه قد أدَّت رسالة كبيرة في تعليم اللغة العربية للأجانب الذين يرغبون بزيارة الدول العربية، أو الذين يرغبون بالاطلاع على المواد العربية من كتب أو فضائيات.

وكل هذا يدل على أنَّ اللغة العربية فرضت وجودها في العالم، بسبب أهميتها من التراث العلمي الذي تحمله ومن الرسالة السماوية، وعدد المتحدثين بها، وأنها قاسم مشترك بين أبناء المنطقة العربية والمغرب.

أهمية الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية:

يعتقد كثير من أبناء اللغة العربية أنَّ لغتهم لا قيمة كبرى لها مقابل اللغات العالمية الأخرى، متذرعين بحجج لم يرددوها وينادوا بها إلا بسبب الانبهار بحضارات أصحاب تلك اللغات، وعدم توظيف هذا الانبهار بطريقة إيجابية كالمنافسة الشريفة، ومحاولة التغيير والتطوير، بل وُظِّف لجلد الذات فحسب.

إنَّ مجرد هذا الاعتقاد الذي رسخ في أذهانهم وما يتبعه من تصرفات فعلية سلبية تجاه لغتهم اللغة العربية سيؤكد بدوره للباحثين في شؤون اللغات ضعف حيوية هذه اللغة، وسيؤدي إلى تصنيفها برتبة متأخرة، مما سيكون له آثار سلبية على اللغة العربية.

فقد أشار فريق الخبراء الخاص المعني باللغات المهددة بالاندثار في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) إلى أنَّ من أحد عوامل التقييم العالمي لحيوية اللغة هو موقف أصحابها الأصليين منها، فقد يعدونها ضرورية لمجتمعهم وهويتهم، فيعززونها، ويُعنون بها، وقد يخجلون منها، فيمتنعون عن تعزيزها، وقد يَتَفَادون استخدامها.

فعندما تكون تصرفات هؤلاء الأفراد حِيال لغتهم إيجابية للغاية، ويعدونها لغةً ذاتَ قيمةٍ ثقافيَّةٍ أساسية، وأنها حيوية لمجتمعهم وهويتهم، فإنه يمكن اعتبارها رمزًا كبيرًا من رموز هويةِ هذه المجموعة، أما إذا اعتقد أصحابها أنها عائقٌ يحول دون التعبئة الاقتصادية والتكامل في المجتمع ويأخذون منها موقفًا سلبيًّا فقد حطَّموا بأنفسهم قيمة لغتهم.

إضافة إلى أنَّ عناية المسؤولين وأصحاب القرارات باللغة العربية ودعمها وفرض استعمالها في المؤسسات الحكومية والتعليمية، ومطالبة ترجمة الوثائق الإنجليزية إلى اللغة العربية كشرط لقبولها في الدوائر الحكومية، وهذا حاصل -ولله الحمد- كما في إدارة المرور على سبيل المثال، وغيرِ ذلك من أساليب دعم اللغة العربية والعناية بها، فإنَّ ارتفاع قيمتها سيفرض نفسه عالميًّا.

هذه المؤشرات وغيرها جدير بصُنَّاع القرار تسخيرها لصالح دعم مكانة اللغة العربية محليًّا وعالميًّا، إذ هي لغةُ أُمَّة كبيرة، ذاتُ تراثٍ علميٍّ ضخم، مُؤَسِّسَةُ حضارةٍ ذهبيةٍ سابقة، وصاحبةُ كتابٍ سماويٍّ خطيرِ الشأن، بلسانٍ عربيٍّ مبين، أُنْزل للبشرية أجمعين، مِنْ لَدُنِ خالقِ العالمين.

واعترافَ منظمة الأمم المتحدة باللغة العربية لغةً رسميةً سادسةً كان بفضلِ أبناءِ هذه اللغةِ أنفسِهم، وليس بفضلٍ ممنوحٍ من المنظمة، وستكون اللغة العربية في يومٍ من الأيام اللغةَ الأولى عالميًّا متى ما أراد أصحابها ذلك، فالذي خصَّها لغةً لكتابه الكريم، هو أعلم بقدرتها على استيعاب الأفكار والعلوم والمخترعات، وهو أعلم بفضلها وعالميتها.

ولذلك فإنَّ تخصيص يوم عالمي للاحتفال باللغة العربية، ما هو إلا لتأكيد وجودها وأهميتها إقليميًّا وعالميًّا، وبيان مكانتها للعالم أجمع في نفوس أصحابها أولًا، ثم في حاجة العالَم أجمع إليها، وتنبيه للأجيال الإسلامية الناشئة إلى دورهم تجاه اللغة العربية، وأثر هذه العناية منهم على التوجهات العالمية في تقييم اللغة العربية.

فعلى المتحدثين من الأساتذة والمذيعين والمفكرين والأطباء وغيرهم إتقانها بتراكيبها وأساليبها وبُناها ليحدِّثوا الآخرين بها وينقلوا إليهم المعلومات والرسائل الشفوية والتحريرية، وعلى كل من يعيش على الأراضي العربية إتقانها ليستمع ويفهم ويعي ما يوجه إليه من تعليمات وأخبار وتنبيهات في وسائل الإعلام بطريقة مسموعة أو مكتوبة ويستطيع التعايش مع أفراد العرب.

ما بالكم بوافد أجنبي لا يعرف شيئًا في اللغة العربية، يمشي بمركبته في الشوارع، كيف سيستجيب إلى تنبيهات الدوريات الأمنية وإلى نداءاتهم وخطابهم له؟! وكيف سيعرف رجلُ الأمنِ لغةَ هذا الوافدِ التي قد تكون أحدَ عشراتِ اللغاتِ الأجنبية ليتعلمها مِنْ أَجْلِ مخاطبته بها؟!

كيف سيتحدثُ الطبيبُ الوافدُ إلى المريض ويشرحُ له تشخيص مرضِهِ ويصف له العلاج إذا كان هذا المواطن العربي لا يتقن لغةَ هذا الطبيب ؟! أم هل على جميع المرضى العرب تعمل لغات كل الأطباء ؟!

كيف سيقيم الموظف الأجنبي في شركةٍ ما علاقةَ تعاونٍ مشتركٍ في تأديةِ مهامِّ العمل مع زملائه من العرب وهو لا يعرف اللغةَ العربية ؟!

بل إنِّ كثيرًا من هؤلاء الوافدين الأجانب يصرون على عدم معرفتهم باللغة العربية وعدم قدرتهم على تعلمها للهروب من الحوار والنقاش وتحمل المسؤوليات في مقارِّ أعمالهم، فيؤدي بالمواطن العربي إلى التنازل عن الحديث بلغته العربية واللجوء إلى لغة الإشارة والرُّطانة لأنَّ هذا الأجنبي قد لا يجيد العربية ولا الإنجليزية ولا الفرنسية.

هل نتعلمُ -نحن العربَ- لغاتِ كلِّ هؤلاء الأجانب التي قد تبلغ عشرات اللغات ؟ أم هم الذين عليهم تعلم لغتنا العربية؟!

لا شكَّ أنَّ تعلمنا للغات الأخرى ثراء علميّ وانفتاح على الحضارات، لكن يجب أن يكون بطريقة متكافئة، فتُعْطى كل لغة حقَّها الحقيقي ومكانها المناسب، ولا تكون بطريقة متباينة لصالح اللغة الأجنبية.

ويمكن عقد فعاليات كثيرة في الاحتفاء باللغة العربية، كعقد محاضرات توجيهية وأخرى تعريفية عن مزايا اللغة العربية وقيمتها وتطورها، وإقامة دورات تدريبية في مهارات اللغة، وإلقاء القصائد، ونشر الشعارات، ولا يخفى ما لهذا من أثر إيجابي على الناشئة والثقافة ونظرة الآخَر إلى
الشعوب العربية.

القسم الثاني: أفضلية اللغة العربية

ترد شبهات عند بعض المعاصرين عن الآتي :

1- عدم وجود نص في تفضيل اللغة العربية على غيرها.
2- عدم وجود نص في تحديد ماهية لغة أهل الجنة.
3- نزول القرآن باللغة العربية لا يدل على أفضيلتها.
4- القول بأفضلية اللغة العربية يحمل بين طياته إحاطتها بالقدسية الدينية.
5- القول بأفضلية اللغة العربية يدل على التعصب العنصري للجنس العربي.
6- رفض المهتمين باللسانيات لمبدأ التفاضل بين اللغات.

وقد يستشهد بعضهم بنص لابن حزم [1] ينفي فيه أفضلية اللغة العربية على غيرها من اللغات.

وللإجابة عن هذه الشبهات أقول - وبالله التوفيق - :

النصوص في تفضيل اللغة العربية:

قال الله - تعالى - : ژ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ژ الآيةَ [2]، فقد فضَّل الله - عز وجل - الأمةَ الإسلاميةَ على الأمم، والأمةُ الإسلاميةُ كتابُها عربي، ونبيُّها عربي، وأهم مكونات (الأمة) هي اللغة، فقد أجمع المفكرون على أنَّ الجماعة لا تكون أُمَّةً إلا إذا كان لهم لغة واحدة، وتفضيل هذه الأمة في القرآن الكريم يتبع له ما يتعلق بها، من نبيها، وكتابها، ولغة هذا الكتاب، ولغة هذه الأمة. ولا يضر وجودُ مشركٍ أو فاسقٍ في هذه الأمة، فإنه لا يُعَدُّ منها، ولا يؤثر على أصولها وثوابتها وطابعها العام.

وقال - سبحانه وتعالى - واصفًا لغة القرآن الكريم في معرض المدح : ژ ڈ ڈ ژ [3].

قال « أبو السعود » : فالقرآن نزل على قوم محمد □ أشرف الأقوام، وبأفضل اللغات [4].

وقال العلَّامة السعدي : هو أفضل الألسنة بلغة من بعث إليهم وباشر دعوتهم أصلًا، اللسان البيِّن الواضح.

وقال تعالى : ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ژ [5]، وقال تعالى: ژ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ [6].

ففي هذه الآيات تفضيل واضح للغة العربية على غيرها من اللغات من لدن رب العالمين.

وتأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم فإنه أفضل الكتب نزل به أفضل الملائكة على أفضل الخلق على أفضل أمة أخرجت للناس بأفضل الألسنة وأفصحها وأوسعها وهو اللسان العربي المبين [7].

قال تبارك وتعالى مادحًا لغة القرآن الكريم : ژ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ے ژ [8].

قال « ابن كثير » في « تفسيره » [9] : « وذلك لأن لغَة العرب أفصحُ اللغات وأبينُها وأوسعُها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف

---

(1) انظر «الإحكام في أصول الأحكام» (1 : 33 - 43).
(2) (آل عمران 110).
(3) (الشعراء 195).
(4) «تفسير أبي السعود» (5 : 32).
(5) «فصلت» (44).
(6) «النحل» (103).
(7) «تيسير الكريم الرحمن» (597).
(8) (يوسف 2).
(9) (4 : 365).

اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة، وهو رمضان فكمُل من كلِّ الوجوه ».

النص في تحديد ماهية لغة أهل الجنة :

قال الله - سبحانه وتعالى - في وصف نساء أهل الجنة مادحًا إياهنَّ : ژ ہہ [1].

ورُوِيَ عن رسول الله : «عُرُبًا» قال: «كلامهنَّ عربيّ»[2].

فهذا يُستدل منه على أنَّ اللغة العربية هي لغة أهل الجنة، وهي مدح في حقهم، كما وصفهم بذلك ربُّ العِزَّة، جلَّ وعلا.

اصطفاء الله – جل جلاله – للغة العربية تفضيل وتقديس باختيار إلهي، وليس بتعصب منا أو عنصرية:

إنَّ اصطفاء الله - جل جلاله - للغة العربية لتكون لغةً لكتابه الكريم الذي أنزله على أفضل رسله محمدٍ ، ليكون رسالةً للعالم أجمع، فينهلوا من معينه، ويتعبدوا بتلاوته، واتباع أوامره واجتناب نواهيه، لم يكن عبثًا، ولا يُشكُّ بأن الأمر جاء من غير اصطفاء ولا اختيار ولا تفضيل ولا حكمة، بل كان لأفضلية اللغة العربية، فهي لغةُ الإبداع العربي قبل الإسلام، ولغة الإعجاز الإلهي بعده، وقد حوت اللغة العربية من الجمال والكمال والفصاحة والبلاغة ما لم تحوه لغة من لغات البشر أجمع.

تقديس اللغة العربية لكونها لغة القرآن الكريم:

إنَّ تفضيل اللغة العربية على غيرها من اللغات، وجعلها لغةً للقرآن الكريم، وأمر الأمة الإسلامية جميعها بتعلمها للصلاة بها، ولتلاوة القرآن بها، ولفهم القرآن والتفكر به، هو هبةٌ ربّانية، وإرادة الله - جل جلاله -، شئنا أم أبينا.

كلام العلماء في فضل اللغة العربية:

ذهب إلى تفضيل اللغة العربية فريق كبير من العلماء، بأقوال لهم مشهورة، أو مؤلفات منشورة.

ومن الأقوال:

1- قول «السيوطي»: «اللغة العربية أفضل اللغات وأوسعها» [3].

2- وقول «ابن فارس»: «لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها» [4].

3- وقول «ابن تيمية»: «ولا نقول بقول الشُّعوبية وأراذل الموالي الذين لا يحبون العربية، ولا يُقِرُّون بفضلهم، فإن قولهم بدعة وخلاف. ويروى هذا الكلام عن أحمد نفسه» [5].

4- وقول «ابن الأثير»: إن للغة العربية مزية على غيرها لما فيها من التوسعات التي لا توجد في لغة أخرى سواها [6].

5- وقول الدكتور عبده الراجحي، وهو من الأعلام المشهورين في اللسانيات : وهذه العربية الفصيحة لغة طبيعية كغيرها من اللغات الطبيعية، لكنها تعد حالة خاصة

---

(1) (الواقعة 37).
(2) «تفسير القرآن العظيم» (13: 376).
(3) «المزهر» (1 : 258).
(4) «الصاحبي» (16).
(5) «اقتضاء الصراط المستقيم» (1 : 376).
(6) «المثل السائر» (1 : 39).

تختلف عن اللغات الأخرى، وبخاصة تلك اللغات المنتشرة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية. وهذا الاختلاف يتجسد في ثلاثة جوانب :

أولها : أن العربية لها امتداد تاريخي ليس لهذه اللغات.

ثانيها : أن هذه اللغة - شاء الناس أم أبوا - ترتبط ارتباطًا عضويًّا بالإسلام، يبدأ هذا الارتباط بالقرآن الكريم ثم يمتد في الحديث الشريف، فالتفسير، والفقه، والتاريخ، وغير ذلك من جوانب الحياة الإسلامية.

ثالثها : أن هذه اللغة العربية الفصيحة لها تراث هائل في الدرس اللغوي لا نعرف له مثيلًا أيضًا في اللغات الأخرى [1].

الخاتمة:

أوصي المعنيين بنشر اللغة العربية وتعليمها التنبه للتأثير على توجه الإعلاميين في خدمة اللغة العربية، والعناية بتحقيق أهداف لغوية قومية ودينية. فالإعلامي يُقدِّم نشرة أخبار، ويعقد مقابلات وحوارات، فإذا ما قدَّم مادة لغوية صحيحة وثرية ومُوَجَّهة يكون قد ساعد على نشر اللغة العربية ونشر جوانب تطورها.

وأُوصي الإعلاميين بالتواصل مع مجامع اللغة العربية لنشر المصطلحات الجديدة، وما اعتمدته من أساليب ومفردات؛ ليستعملها في عباراته، وكذلك يستعمل الألفاظ الجيدة والأساليب الحسنة لنقلها للعامة والمشاهدين كافة.

وأدعو الإعلاميين إلى الامتناع عن عرض المواد المخالفة لجمال اللغة العربية، من أسماء المنتجات الاستهلاكية والدعايات والإعلانات في قنواتهم، فإنهم بذلك يقدِّمون رسالة ناجحة -إن شاء- الله للغة العربية.

وأُشجِّع على دعم المبادرات التي تهدف لنشر اللغة العربية.

المصادر:

1- **الإحكام في أصول الأحكام** للآمدي، ت عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية، 1402هـ.

2- **انفجار الفضائيات العربية الأبعاد، الأهداف، والتأثيرات الثقافية** للأسد صالح علي، دار غيداء للنشر، الأردن، 2012م.

3- **اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم** لابن تيمية، ت د. ناصر بن عبد الكريم العقل، الرشد، الرياض.

4- **تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)** لمحمد بن محمد العمادي، دار المصحف، بيروت.

5- **تفسير القرآن العظيم** لابن كثير، ت مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة، الجيزة، الأولى 1421هـ 2000م.

6- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** لعبد الرحمن السعدي، ت عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الأولى 1421 هـ - 2000 م.

7- **حرب اللغات** لمحمد علي صالح، صحيفة الشرق الأوسط، الجمعة 9 ربيع الأول 1427 هـ، 7 أبريل 2006، العدد 9992، رابط :
http://www.aawsat.com/details.asp?article=356901&issue=9992&section=45

(1) باختصار من كتابه «علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية» (87 - 88).

8- **الحفاظ على اللغة حفاظ على الهوية: كوريا والصين نموذجًا** لـ د. فيحاء عبد الهادي، مقال على الشبكة العالمية رابط:
http://www.miftah.org/Arabic/Display.cfm?DocId=6922&CategoryId=2
9- **دور اللغة في تماسك شخصية الأمة** للحبيب المخ، ضمن مجلد بعنوان « دراسات في اللغة والحضارة »، قدمت في ملتقى ابن منظور، 1974م، تونس، 1975م.
10- ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه أحمد أمين، وآخران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الثالثة، 1987م.
11- **الصاحبي** لابن فارس، ت السيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
12- **علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية** لـ د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، 1425 هـ - 2004 م.
13- **العنصرية الصهيونية وفلسفة التربية اليهودية** لعبد القادر فارس، مقال على الشبكة العالمية رابط :
http://www.sis.gov.ps/arabic/roya/9/page3.html
14- **سنة الله** لعبد السلام ياسين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الأولى، 1426هـ 2005م.
15- **سورية : نجحنا في تدريس الطب بالعربية**، مقال على الشبكة العالمية رابط :
http://www.islamonline.net/arabic/arts/12/2001/article16.shtml
16- **ضحى الإسلام** لأحمد أمين، المكتبة العصرية، بيروت، الأولى، 1427 هـ - 2006 م.
17- **قضية التعريب وتساؤل إلى وزارة التربية والتعليم** لـ د. عبد الرحمن القعود، صحيفة الرياض، الخميس 17 جمادى الآخرة 1427هـ، 13 يوليو 2006م، العدد 13898 رابط:
http://www.islamonline.net/arabic/arts/12/2001/article16.shtml
18- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** لضياء الدين بن الأثير، ت د. بدوي طبانة و د. أحمد الحوفي، دار الرفاعي، الرياض، الثانية، 1984م.
19- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** للسيوطي، شرح وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم، محمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، الأولى، 1425 هـ - 2004 م.
20- **اللغة العربية هويتنا القومية** لـ د. صالح الخرفي، ضمن كتاب (من قضايا اللغة العربية المعاصرة)، تونس 1990 م.
21- **اللغة العربية والشعوب الإسلامية** لـ د. تمام حسان، ضمن كتاب (من قضايا اللغة العربية المعاصرة)، تونس 1990 م.
22- **اللغة والحياة والطبيعة البشرية** لبروفسور روي. سي. هجمان.، ترجمة وتقديم د. داود حلمي أحمد السيد، جامعة الكويت، الأولى، 1409هـ - 1989م.
23- **الفصحى لغة القرآن** لأنور الجندي، الكتاب اللبناني، بيروت.
24- **موقع:** http://www.webometrics.info
25- **النشرة الشهرية الثانية لشبكة تعريب العلوم الصحية** لغرة رمضان 1424الموافق لشهر تشرين الأول/أكتوبر 2003، على الشبكة العالمية رابط :
http://www.emro.who.int/ahsn/newsletter-Issue2.htm